

{ويتخذ منكم شهداء}

الكاتب : حمد بن عبد الله الحميدي

تاريخ الإضافة: 29-12-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

{ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين}.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله فاطر السماوات والأرض، الحمد لله جعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمد لله رب السماوات ورب الأرض ومن فيهن، والحمد لله قيم السماوات والأرض ومن فيهن، الحمد لله في الأولى والآخرة، له الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، الحمد لله الذي قامت السماوات والأرض بإذنه ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك؛ لعزه وعظمته وقدرته وقيوميته، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، فلا إله يعبد بحق سواه، تفرد بالخلق والاختيار وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون.

قال ـ ومن أصدق من الله قيلا ـ : {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما}.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحيم بأمته الذي دعا لها فقال: (اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون).

وتمنى ذلك لنفسه فقال: (وددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل).

فجاهد في سبيل ذلك؛ حتى أنه يود أن لا يختلف عن غزوة ولا سرية، ولذا قال: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين؛ ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني).

وقال في بعض المشاهد لما دميت إصبعه:

(هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت)

وعلى آله وصحابته الذين بذلوا النفوس والأموال وكل ما يملكون لينالوا شهادة في سبيل الله؛ لأنهم علموا ما للشهادة من المنزلة والكرامة فتنافسوا في طلبها حتى قال قائلهم: (واها لريح الجنة إني لأجده دون أحد)، ويقول الآخر: (لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة)، فرمى بما كان معه من التمر، ويقول الآخر:

(فلست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع)

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد...

يقول المولى جل وعلا: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين}.

في هذه الآيات ينهانا ربنا أن نضعف أو نستكين بسبب ما يجري علينا من الشدة كالقتل والجراحات وغير ذلك من البأساء والضراء؛ فإن العاقبة والنصر والتأييد كتبه الله لأوليائه وأنصار دينه، واعلم أن ما يصيبك أيها المجاهد من المصائب في سبيل الله لحكمة عظيمة لتمييز الصفوف ولتمحيص الذنوب ومغفرتها لك ورفعة لدرجاتك، وأنه لا يحصل دخول الجنة حتى تبتلى وتمتحن، قال تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}، وذلك ليرى الله من يصبر على مناجزة ومقاومة أعدائه، فيبذلون مهجهم في مرضاة ربهم من هجرة ونصرة وإيواء وجهاد، فيقتلون ويقتلون، وهؤلاء هم أهل الإيمان الحق، قال تعالى: {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم}.

واعلم أيها المسلم أن الإقدام والإحجام لا ينقصان من العمر ولا يزيدان فيه؛ لأن كل ذلك بأجل مسمى، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيد عدوكم مهما بلغ وعظم؛ لأن الله تعالى قد تكفل برد كيدهم عليهم، قال تعالى: {إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا}.

واعلم أن الحياة الحقيقية هي بالاستجابة لله ورسوله بنصرة دينه وجهاد أعدائه، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}.

قال عروة ابن الزبير رحمه الله تعالى: (أي للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم) انتهى كلامه رحمه الله.

وكذا الحياة في البرزخ وما بعده من الرزق الحسن والفرح والسرور وذهاب الهم والغم والخوف والحزن، يكون ذلك بالقتل في سبيل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين}، لأنه لما كانت الشهادة في سبيل الله لها من المكانة العظيمة؛ اتخذها الله واصطفاها واختارها لعلية القوم، فلا ينالها إلا الرجال العظماء الصادقون في طلبها.

قال تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}، نزلت هذه الآية في رجل وجدوا في جسده بضعا وثمانين جراحة من ضربة وطعنة ورمية؛ فلم يعرفه أحد لتمزق أشلائه في سبيل مولاه، إلا أخته عرفته ببنانه لسلامة بنانه من الضربات، وهذا لشدة انغماسه وإرهابه لعدوه والإقدام لنيل الشهادة.

وهكذا تتجدد الصور، صور أهل الإقدام لطلاب العزة والكرامة لنيل الشهادة إلى قيام الساعة، قال تعالى: {والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم}، وأن الطعنات وتقطع الأطراف وتمزق الأجساد وخروج الأرواح في سبيل الله هو أشهى عند من يقتل في هذا السبيل من أي نعيم.

ولذا حينما يقال لهم: ما تشتهون؟ وهم يسرحون في الجنة حيث شاءوا، ومع ذلك لا يسألون إلا عودة أرواحهم في أجسادهم، فتعاد إلى الدنيا فيقتلون في سبيل الله مرات وكرات! لما يرون من صور الكرامة والعزة ورفعة الدرجات عند رب الأرض والسماوات، لماذا؟! لأنهم عرفوا قيمة الشهادة في سبيل الله.

فعن مسروق رحمه الله تعالى قال: (سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون}، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) [رواه مسلم في صحيحه].

وهذا ـ والله ـ غاية ما يتمنى الشهيد حينما شاهد ما للشهيد عند الله من النعيم.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)، وفي لفظ: (لما يرى من فضل الشهادة) [متفق عليه].

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: (هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة)، قال: (وليس في أعمال البر ما تبذل في النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب).

وجاء عند النسائي من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالرجل من أهل الجنة، فيقول الله: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك، فيقول: أي رب، خير منزل، فيقول: سل وتمن، فيقول: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة) [وإسناده صحيح].

هذه المنزلة لمن يقتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، لا ينال هذه المنزلة من يقاتل تحت راية عمية أو تدعو إلى عصبية، أو يقاتل حمية جاهلية، أو يقاتل ليرى مكانه أو ليقال إنه شجاع، أو يقاتل لتكون كلمة الذين كفروا هي العليا.

كما هو الواقع اليوم من جند الطاغوت، يقاتلون في سبيل عبيد الصليب، وهذا لعبادتهم للطاغوت فإذا نالوا وسام الشرف الطاغوتي ـ وهو شهيد الواجب الشيطاني أو شهيد الوطن أو غير ذلك من المسميات ـ قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا}، فمن قاتل دفاعا عن الصليب وأهله أو عن الطواغيت وعروشهم؛ حشر يوم القيامة في النار معهم.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت).

وفيهما أيضا: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم).

قد يقول القائل: بأن هؤلاء الشرط وجند الطاغوت ما عبدوا الصليب وما عبدوا الطاغوت!

فنقول: هل هناك عبادة أعظم من عبادتهم للطاغوت بهذه الطاعة المطلقة؟!

فلو قيل لهم: قوموا بحماية عباد الصليب قاموا بحماية أهل الصليب حتى إنهم ليفدونهم بأرواحهم!

ولو قيل لهم: قوموا بحماية هؤلاء الرافضة الوثنيين وعباد القبور ـ كما هو مشاهد في الحرمين وخاصة في الحرم النبوي في ساحاته وعند مقبرة البقيع وغيرها من الأماكن ـ لقاموا بحمايتهم وضرب وسجن من ينكر عليهم وغير ذلك مما يقع منهم في شرك الطاعة!

ولو قيل لهم: قاتلوا هؤلاء الإرهابيين ـ يعني المجاهدين ـ لقاموا مسرعين لقتالهم حتى لو كلفهم تلك ذهاب أرواحهم!

وهكذا تذهب أرواح هؤلاء المساكين الذين استخف بهم هؤلاء الطواغيت حتى يتساقطون هم وإياهم في جهنم وساءت مصيرا، قال تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله}، وقال تعالى: {يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا}.

قال طاووس رحمه الله: (سادتنا يعني الأشراف، وكبراءنا يعني العلماء).

فقبح الله قوما لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، إن هم كالأنعام بل هم أضل عياذا بالله، لكن كما قال تعالى: {ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم}، أي لعقلوا وفهموا ما سمعوه، ولو فهموا لما اهتدوا فقال: {ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون}، لفساد فطرتهم وخبث مقاصدهم؛ فلم ينفعهم سماعهم لعدم العلم به، وهذا كما قال تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، وهذا كما وصف الله أهل الكفر بقوله: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون}، وقال عن المنافقين: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أي لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه).

فلا يسمى عاقلا إلا من عرف الخير فطلبه، وعرف الشر فتركه، ولهذا قال أصحاب النار: {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير}.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعه) انتهى كلامه رحمه الله.

قال الزجاج: (لو كنا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر؛ ما كنا من أهل النار).

وحالهم يوم القيامة؛ منكسة رؤوسهم من الذلة والصغار لما عاينوا هذه الأهوال، وأيقنوا بالعطب، أعلنوا بعد ذلك الندم، لكن هيهات هيهات، حيل بينهم وبين ما يشتهون، قال تعالى: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون}، وهذه هي الخسارة العظيمة البينة الواضحة، قال تعالى: {ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا}، ويعرف هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أما من أعمى الله بصيرته فلا حيلة فيه قال تعالى: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى}.

فالنفس المبطلة الخسيسة تتلذذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة وتفرح بها، فالأقوال الباطلة مصدرها، ووعد الشيطان وأوليائه وتمنيتهم لجندهم بأنكم شهداء الواجب، ووسام الشرف ورفع الرتبة بعد الموت عنوان سعادتها، قال تعالى: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين}.

بشراكم يا جند الطاغوت ويا أولياء الشيطان! لهذه الأوسمة والشهادة والمراتب بعد الموت الذي يعقبه جهنم بئس للظالمين بدلا، إنها قلوب عن الحق معرضة، ورؤوس من العقل خاوية، قال تعالى: {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا}، وعود باطلة، وأماني محالة:

دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار

لكن كما قال تعالى عن هؤلاء وأجناسهم: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين}.

أما أنت أيها المجاهد؛ فتذكر فضل الله عليك بأن دلك على هذا الطريق الذي سلكه أنبياء الله ورسله وأتباعهم إلى يوم القيامة، قال تعالى: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين}، وأعظم الأنبياء وأتباعه جهادا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، قال تعالى: {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون}.

وهاهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم يبايعون على الجهاد ما بقيت أرواحهم في أجسادهم.

جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق كان يقول: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة)، فقالوا مجيبين له: (نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا).

وهذا مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه يقول: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة، فقال: مضت الهجرة لأهلها، فقلت: علام تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد) [متفق عليه].

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعهم على الإسلام والجهاد.

بل لما أراد بشير بن الخصاصية رضي الله عنه أن يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشترط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبايع على الإسلام وأركانه والجهاد في سبيل الله، فقال بشير: (أما اثنتين فوالله ما أطيقهما، الجهاد والصدقة)، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم حرك يده، ثم قال: (فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذن؟!)، قال: قلت: (يا رسول الله أنا أبايعك)، قال: (فبايعته عليهن كلهن) [رواه أحمد بإسناد لا بأس به].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى عند هذا الحديث: (دل على أن شرط دخول الجنة هو الصدقة والجهاد).

فيا من قام بالجهاد ـ خاصة في هذا الزمان ـ اشكروا الله على ذلك واحمدوه كثيرا، احمدوه كثيرا وافرحوا بسلوك هذا الطريق الوعر، الذي لا يسلكه إلا الرجال العظماء الصادقون، قال تعالى: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}، واسألوا الله التثبيت على ذلك.

واعلموا أن طريقكم مع صعوبته إلا أنه طريق ليس فيه إلا الحسنى، قال تعالى: {قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون}.

وكما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة).

فأنت أيها المجاهد، إما أن تسعد بشهادة تسرح في البرزخ في حواصل طير في الجنة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش، ويوم القيامة تتنافس في الدرجات العلى من الجنة.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) [رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

وكما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة)، فعجب لها أبو سعيد، فقال: (أعدها علي يا رسول الله)، ففعل ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مئة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)، قال: (وما هي يا رسول الله؟)، قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله).

بل دار الشهيد في الجنة ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أحسن منها قط.

جاء ذلك عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه فدار الشهداء) [رواه البخاري].

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل).

بل لما جاءت أم حارثة تسأل، تسأل من؟ تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ابنها حارثة وقد قتل يوم بدر أصابه سهم غرب: (فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء)، قال: (ويحك أو هبلت؟! أو جنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة وإنه في الفردوس) [رواه البخاري].

وقد جاء أن الشهادة عمل يسير لكن الأجر فيها كثير.

جاء في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله: أقاتل أو أسلم؟ قال: أسلم ثم قاتل، فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عمل قليلا وأجر كثيرا).

فيا طالبا الجنة، هذا الطريق فأين الرجال؟! أين الرجال؟! أين الرجال أهل العزائم العاملين بالنصوص المؤثرين الآخرة على الدنيا؟! لأنهم علموا بأن الدنيا ليست موطن إقامة.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال وهو بحضرة العدو: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، فقام رجل رث الهيئة، فقال: (يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟!)، قال: (نعم)، قال: (فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه على العدو فضرب به حتى قتل).

أولئك الرجال تقودهم النصوص لا آراء المثبطين أصحاب الشذوذ الفكري، والمتعايشين مع الكفار الطاعنين في أهل الجهاد، الذين يقول قائلهم اليوم: أنا لا أحث الشباب للجهاد في العراق بل أحذرهم من ذلك! وبعضهم يرى أنه فتنة! {ألا في الفتنة سقطوا}، ويقول الآخر: بأن قتال الأمريكان في العراق محرم! وغير ذلك من الفتاوى المضلة.

وهذا الأمر ليس مستغربا عليهم، لأنهم كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس) [رواه مسلم عن حذيفة].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهاهم اليوم يفتون بفتاوى ليصدوا الناس ويقطعوا عنهم الطريق الموصل إلى الله وجنته، فيا ليت هذه اللحى على رجال! سلم منهم كل طاغوت وكافر، ولم يسلم منهم أهل الإسلام، كل ذلك منهم باسم الإسلام.

وهذا أيضا حال شياطين الجن.

كما جاء عند أبي شيبة والنسائي بإسناد لا بأس به عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم، وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر، وتدع أرضك وسماءك؟! وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن فعل ذلك كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة).

إذن، من تجيب وتطيع؟! هل تجيب هذا الضال الزائغ الذي يحذر من الجهاد حتى في العراق وتطيعه ومن كان على شاكلته؟! أو تجيب نداء من هو أرحم بك من نفسك وأرحم بك من أمك وأبيك؟! حينما ناداك أنت أيها المؤمن للتجارة الرابحة التي لا خسارة فيها فقال: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم}.

فحري بالمسلم أن يبادر إلى بيع نفسه التي هي ملك لربه، أن يبيعها لله، فإن الله هو المشتري وأنت البائع والثمن هو جنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}، والله سبحانه يحب هذا الفعل ويحب أهله القائمين به؛ ولذا قال: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}، وقال تعالى: {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

بل لا خيار لك في ذلك إن كنت مؤمنا، لأن الله كتب عليك ذلك فقال: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}.

بل أمر الله عز وجل بالنفير ونهى عن القعود، وتوعد الرب جل وعلا بالوعيد العظيم والعذاب العظيم لمن تثاقل عن ذلك ورضي بالركون إلى الدنيا، فكيف بمن يحذر عن الجهاد ويلمز المجاهدين؟! قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير}.

فهل هناك أعظم زجرا وتهديدا لك أيها المتثاقل؟! وإن كنت تدعو للجهاد وتحث عليه، لكن ليس لك عذر في تركه، أما علمت أن الله نفى ـ عن المتخلفين والقاعدين ـ نفى عنهم العلم والفقه وإن زعموا ذلك؟ وبين أنه قد طبع على قلوبهم، قال تعالى: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون}، وقال: {إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون}.

أما تخشى من عقوبة أن يطبع الله على قلبك؟! فكيف بك أيها المخذل والمثبط؟! إنها ظلمات بعضها فوق بعض، {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}.

وهذا خليل رب العالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض).

بل بين صلى الله عليه وسلم بأن بعثته قامت بذلك.

كما جاء ذلك عند أبي شيبة والإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

وتواترت النصوص عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى).

بل ويتهم من لم يغز بالنفاق، فكيف بمن يحذر منه؟! فهذا أظن ـ عياذا بالله ـ من النفاق والمنافقين.

قال صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من نفاق) [رواه مسلم عن أبي هريرة].

قال ابن حزم رحمه الله تعالى كما في "المحلى": (ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار).

ونقل ابن قدامة عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى ـ كما في "المغني" ـ لما ذكروا عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى الغزو؛ بكى وقال: (ما من أعمال البر شيء أفضل منه ولا يعدل لقاء العدو شيء، وأن يباشر القتال بنفسه هو أفضل الأعمال، والذي يقاتل العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن المسلمين وحريمهم، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون، قد بذلوا مهج أنفسهم في سبيل الله).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}: (يبين أن الجهاد واجب وترك الارتياب واجب، والجهاد وإن كان فرضا على الكفاية، فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداء، فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه، والعزم على فعله إذا تعين، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة نفاق" [رواه مسلم]، فأخبر أنه من لم يهم به كان على شعبة نفاق) انتهى كلامه رحمه الله.

وأخبر الصادق المصدوق أنه لا يستطيع القاعد أن يعمل عمل المجاهد مهما جد واجتهد في العبادة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه)، وقال في الثالثة: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) [متفق عليه، وهذا لفظ مسلم].

بل تواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها).

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر: (يا أهل المدينة، ألا تأخذون بحظكم ونصيبكم من الجهاد في سبيل الله؟ ألا ترون إلى إخوانكم من أهل الشام؟ وإخوانكم من أهل مصر؟ وإخوانكم من أهل العراق؟ ووالله ليوم يعمله أحدكم وهو يجاهد في سبيل الله خير من ألف يوم يعمله في بيته صائما لا يفطر وقائما لا يفتر).

وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (غزوة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة) [رواه ابن أبي شيبة].

وفيه أيضا: أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (ما كان في الأرض ليلة أبشر فيها بغلام ويهدى إلي عروس أنا لها محب، أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المجاهدين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد).

إذن الجهاد الجهاد يا عباد الله، الجهاد في سبيل الله هو الفوز العظيم، فلمثل هذا فليتنافس المتنافسون، وليشمر إليه المشمرون، وعلى فواته فليبك القاعدون والمقصرون، وعلى ضياع العمر في غيره فليحزن المفرطون، وعلى الذل والهوان فليعش المتعايشون، ولعدوهم فليتبطح المتبطحون، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم وقعدوا أي منقلب ينقلبون.

ثم اعلم أيها المجاهد، أن هذا الفضل كله في وقت جهادك ـ سواء كنت نائما أو يقظان، وسواء آكلا أو شاربا، في أمورك المباحة ـ فكيف الفضل إذا كنت مع تلك صواما قواما، باكيا من خشية الله، ومتضرعا وتاليا للقرآن آناء الليل وأثناء النهار، قائما بخدمة إخوانك، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، سالم الصدر، متبرئا من الكفار مواليا لأهل الإيمان، وكل ما سمعت هيعة أو فزعة طرت إليها شوقا لطلب الموت في سبيل الله؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه) [رواه مسلم].

وهذا أفضل الجهاد كما في مسند أحمد بسند جيد عن عبد الله بن حبشي، قال: (سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أفضل؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه، قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: من أهريق دمه وعقر جواده).

يا من يريد العليا والشرف، فهذا نبيك أخبرك بما ينال شرف القتل، فهل تركن بعد ذلك لحطام الدنيا وتعتذر بقول أقبح من فعل؟! تعتذر بالخوف والجبن؟! هذا ليس عذرا لك عند الله، إذن هنيئا والله لهذا الرجل البحاث عن الموت في سبيل الله؛ لأنه يبحث عما فيه راحته وسعادته.

أما علمت أن الشهيد قتله أسهل القتلات وأسهلها عند خروج روحه؟!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة) [رواه أحمد والنسائي بسند جيد].

وعند الموت يغفر للشهيد ذنبه وتكفر عنه خطيئته ويحط عنه وزره.

قال صلى الله عليه وسلم: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين) [رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو].

وروى مسلم أيضا عن أبي قتادة؛ أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟)، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف قلت؟)، قال: (أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك).

إذن يا من أسرف على نفسه بالذنوب والخطايا؛ طهرها بالتوحيد والسنة والجهاد، وطلب الشهادة والاستشهاد، وتمني الموت في سبيل الله والبحث عنه من مظانه، فهاهي الثغور ورايات الجهاد قد رفعت، أيليق بك أن تكون مثل أختك وأمك وابنتك وزوجتك؟! فتكون مع النسوان متخلفا عن قافلة الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وأما بعد الموت، فيسلم الشهيد من فتنة القبر التي بين الرسول صلى الله عليه وسلم عظمها، بأنها مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجال.

فقال صلى الله عليه وسلم: (إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجال) [متفق عليه من حديث عائشة].

فهنيئا لك يا من قتل في سبيل الله حيث أنك تسلم بعد الموت من هذه الفتنة العظيمة.

روى النسائي بسند جيد عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أن رجلا قال: (يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟)، قال: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة).

مع ما أنت فيه من النعيم والحياة البرزخية، حيث أنك تسرح في حواصل طير خضر تأوي إلى قناديل تحت العرش، وإذا بعث الناس من قبورهم فالجنة الجنة أيها المجاهد، فالجنة الجنة، فإنها والله تحت ظلال السيوف.

وهنيئا والله لأهل الشهيد وذويه؛ حيث يشفع في سبعين من أهله بأن يدخلوا الجنة وهم ممن استحقوا النار.

فهل بعد ذكر شيء من فضائل الشهادة تبخل؟ تبخل بنفسك أن تبيعها لله؟! قال تعالى: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد}.

وأما إذا ما اصطفاك الله للشهادة في سبيله؛ فتلك الحسنى الثانية وهي الظفر والنصر والتأييد، قال تعالى: {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب}، وأن هذا النصر وعد من الله للمجاهدين، وأن هذا قريب فلا تستبطئ الغلبة على العدو مهما مر عليك من حالة الضعف، فإن النصر بيد الله وأخبرنا بقربه فقال: {ألا إن نصر الله قريب}.

وقد تكفل الله بنصر من ينصر دينه، قال تعالى: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}، وأن النصر حليف عباده المؤمنين، قال تعالى: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}، وقد كتبه الله ـ هذا النصر ـ على نفسه، قال تعالى: {وكان حقا علينا نصر المؤمنين}.

وهاهي بوادر النصر وعلاماته قد ظهرت، فهناك علامات إذا كانت في العدو جاء النصر بعدها لأهل الإيمان، فمن ذلك أمور، منها:

- تحزب أهل الكفر من كل نحلة للقضاء على الإسلام وقتال أهله، وعقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات والاجتماعات، والتحالف في ذلك للقضاء على الإرهاب ـ زعموا ـ فهذه علامة لهزيمة الكفار، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها}، وقال تعالى: {سيهزم الجمع ويولون الدبر}.
- ومن العلامات أيضا: إنفاقهم الأموال الطائلة، لحربهم ذلك ودعم بعضهم لبعض، فإنه إذا استنزفت أموال الكفار جاء النصر لأوليائه، فيكون إنفاقهم للأموال شدة وحسرة عليهم، قال تعالى: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون}.
- كذلك من علامات النصر: فرح المنافقين بقيام أهل الكفر على أهل الإسلام، حيث يتصورون ظهورهم كما هو الواقع اليوم من المنافقين، وإعلانهم ما كانت تخفي قلوبهم من قبل، فصار من أناس كانوا يظهرون أنفسهم بأنهم من أهل الإصلاح والدعوة إلى الله، وأنه ربما وضع أو وضعوا رموزا لهذه الدعوة، قال تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}.
- ومن العلامات أيضا: ظهور البطر من الطواغيت والكفرة، وأنهم سيقضون على ما يسمونه بالإرهاب ـ أعني المجاهدين ـ ، لسان حالهم: {من أشد منا قوة}؟ قال تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة}، وقال تعالى: {فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين}، وقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم}.

وما يريدون بذلك هو إطفاء هذا النور العظيم، وهذه الشعيرة العظيمة من كل مكان، يريدون إطفاءها ولكن يأبى الله، يأبى الله إلا أن يظهر دينه، ويعلي راية الجهاد في سبيله، قال تعالى: {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}، إذا مهما أوتي الكافر من قوة فلا نصر له ولا ولاية، لأن ولاية الله ونصره وتأييده لك أيها المجاهد المؤمن، فامض على بركة الله تعالى، {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم}، وقال تعالى: {ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا}، وقال تعالى: {إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز}.

إذا يا عبد الله، قم بشعيرة الجهاد؛ فإن فيها فوائد كثيرة نذكر بعضا منها ـ وهي أعظمها ـ منها:

- إظهار أعظم صور الكفر بالطاغوت التي دعت إليه الرسل من لدن نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي انطمست معالمه اليوم عند أدعياء العلم، فكيف بمن دونهم؟ ولذا؛ أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمجاهدة عدوه والإغلاظ في ذلك، {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير}، بل أعظم وصف وصف الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}، ولذا قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين}.

وهكذا ظهرت صور ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح: (انظروا، إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا) [رواه مسلم] ـ يعني بذلك قريشا ـ

وهذا عمر يوم بدر لما استشاره النبي صلى الله عليه وسلم في الأسرى، فقال: (أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان ـ نسيب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم).

وهذا عمر يوم صلح الحديبية؛ وثب مع أبي جندل فجعل يمشي إلى جنبه وهو يقول: (اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإن دم أحدهم دم كلب) [رواه أحمد بسند صحيح].

وهاهي غزوة بدر، تبين صدق ذلك حينما التقى الابن بأبيه، والأخ بأخيه، والعم بابن أخيه، وقراباتهم تتقاتل فيما بينهم، هذا ينتصر دين الله وهذا ينتصر دين المشركين، وسمي هذا اليوم بـ "يوم الفرقان".

فكيف بنا اليوم، لما زالت عند كثير منا عقيدة الولاء والبراء؛ صرنا ندافع عن علوج من عبدة الصليب وغيرهم!

وفي القتال أيضا: إظهار لدين الله على الأديان كلها، قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير}، وحتى تكون عذابا على الكفار وشفاء لصدور أهل الإيمان، قال تعالى: {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم}.

- وكذلك: إظهار العزة للمؤمنين وقهرهم للكافرين، وأخذ الجزية منهم عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}.
- بل كل ما يصيبك في هذا الطريق يكون لك به أجر وإغاظة لعدوك، قال تعالى: {ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين}.
- وكذلك جهادك يكون سببا لدخول الناس في الدين وإقبالهم عليه، لأن في الجهاد إذعان الناس للحق وقبولهم له، قال تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا}.

وكما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)، وعند أبي داوود بلفظ: (يقادون إلى الجنة بالسلاسل).

إذا فابحث عن الكفار في أي موطن فاقتلهم، فإنهم حلال الدم والمال، قال تعالى: {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين}، وقال تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب}، وقال تعالى: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم}.

وفي صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بخاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله).

وجاء عند مسلم أيضا من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن ربي أمرني فقال ـ فقال مما أمر به ـ : قاتل بمن أطاعك من عصاك).

وكما جاء في صحيح البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال لعامل كسرى: (أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم).

وعند أحمد وأبي داوود والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم وأيديكم).

فهذا هو الأصل في الكافر؛ أنه حلال الدم والمال، إلا ما دل الدليل على تحريم دمه.

كالذمي الذي يدفع الجزية عن يد وهو صاغر، هذا هو الذمي لا كواقعنا، نقول عنهم أهل ذمة ونحن الذين ندفع لهم الجزية.

وكذلك المعاهد فإن دمه معصوم، وهو الذي له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم، وليس المعاهد كما هو الواقع اليوم؛ يضع قواعده العسكرية بدون علم أو أن يشعر به أحد ممن يسمون بـ "الولاة"، وقواعدهم العسكرية في مناطق شتى في كل بلدان المسلمين، وخاصة الجزيرة التي تنطلق منها الطائرات لدك بيوت المسلمين ومساجدهم على من فيها، حيث أنه لا يمكن الدخول لهذه القواعد لأي كان، حتى لو كان وزيرا للدفاع في تلك البلاد، وكذا: كيف سيكون معاهدا وهو يتصرف في أمورك الدينية والتعليمية والعسكرية والاقتصادية والسياسية؟! فهل هذا معاهد أو محتل محارب؟!

وغير هؤلاء مما دل عليه الدليل.

وأما جزيرة العرب خاصة؛ فمحرمة على كل كافر، كما تواترت في ذلك النصوص الآمرة بإخراجهم من جزيرة العرب وعدم بقائهم.

إذا يا عباد الله، استعينوا بالله واصبروا وقوموا بما أوجب الله عليكم من جهاد عدوكم، فالجنة لا تكون بالأماني، فالجنة والله لا تكون بالأماني الكاذبة، واعلموا أن الله ناصر دينه، ومعل كلمته، ومظهر دينه على كل دين، وهذا هو الظن بربنا، فليس للكافر إلا الخزي في الدنيا وله في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوؤه، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ـ عياذا بالله من ذلك ـ

عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر).

وكان تميم الداري يقول: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية) [رواه أحمد بسند جيد].

وأن هذا الدين قائم وأهله ظاهرون، إذا قاموا بجهاد عدوهم.

كما جاء في حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة).

وجاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من الناس حتى تقوم الساعة).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة).

وكل هذه الأحاديث أخرجها مسلم في صحيحه؛ فيها البشارة لأهل الإيمان مع قلتهم إلا أن عدوهم مخذول وهم منصورون.

فنسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من الطائفة المنصورة، ونسأله جل وعلا أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يعجل الفرج لأهل الإسلام، وأن ينجي المستضعفين من المسلمين في كل مكان، وأن يفك أسراهم، وأن ينصر مجاهديهم إنه ولي ذلك والقادر عليه، اللهم يا حي يا قيوم، عجل الفرج لأهل الإسلام.

اللهم وأقم للإسلام دولته، اللهم أقم للإسلام دولته، اللهم أقم للإسلام دولته، اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام؛ فرج عن إخواننا وأخواتنا المعتقلين في سجون الطغاة الظالمين، اللهم واحفظ عليهم دينهم

